بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

هذه الفتاوى .. من أسباب ضعف المسلمين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد)

فان العمل الاسلامى يقوم على جهد الدعاة والعلماء الذين يضعون أمانة الدعوة فى أعناقهم حيث يعرضون الاسلام فى صورته الصحيحة فى كل ما يقدمونه للناس • وبقدر نجاح علماء المسلمين فى أداء مهمتهم يكون تقدم المسلمين أو تأخرهم •

ولكى يكون المسلمون قوة مؤثرة لا بد أن يقفوا على أسباب ضعفهم وتفككهم حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يعرفوا الطريق الى العلاج •

ولعل من أول أسباب ضعف المسلمين ما أدخل على دينهم فى مختلف العصور من عقائد غريبة بعيدة عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج سلفنا الصالح ، مما أدى الى أن تمزق المسلمون وتفرقت كلمتهم وأصبحوا شيعا وأحزابا وفرقا متناحرة •

وكذلك ما أدخل على الدين من بدع وخرافات وشركيات يظنها العامة دينا بعد أن روج لها بعض المحسوبين على العلم ممن ينظرون الى الاسلام نظرة كهنوتية فجعلوه مسئولية أصحاب العمائم وحدهم ونصبوا أنفسهم متحدثين رسميين باسم الاسلام فشاركوا فى احياء هذه الشركيات والخرافات والدفاع عنها مما يعتبر جريمة فى حق الاسلام •

ومن أسباب ضعف المسلمين الاستغناء عن المؤلفات الفقهية التى تتميز بالبسط والاشباع والاكتفاء بالمؤلفات الموجزة ايجازا شديدا والتى تسمى « المتون » التى ذاعت شهرتها بين الدارسين حتى استغنوا بها عن المراجع الأصلية • ولما وصل الاختصار بهذه المتون الى حد

الاخلال بالمعنى ظهرت « الشروح » لهـذه المتون • وكان لا بد من التعليق على هذه الشروح فظهر ما يسمى بالحواشى والتعليقات • وكانت هذه المؤلفات من المتون الى الشروح الى الحواشى دليلا على الضعف العلمى •

* * *

وكل هذه الأدواء •• لا طريق للعلاج منها الا بالرجوع الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهما الدعامتان القويتان اللتان يقوم عليهما بناء الاسلام وكيانه • أما عدم استقاء الدين من هذين النبعين الصافيين ــ الكتاب والسنة ــ وازدياد البعـد عنهما بالتعصب والتمسك بما ورد من مذاهب وآراء غريبة فان ذلك يعمل على تقويض بناء الاسلام •

وحتى فى الأحكام الفقهية فان الفقه المستنبط من الكتاب والسنة مباشرة أيسر وأوضح من كـل ذلك الركام الهائل الـذى جاءت به الافتراضات والاجتهادات المذهبية التى كان لها أوانها فى زمن لم يكن قد ظهر فيه صحيح البخارى أو صحيح مسلم أو غيرهما من كتب السنة المشهورة ••• لذلك يجب الرجوع فى الفتاوى ومعرفة الأحكام الى المؤلفات التى تعتمد على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة وترك هذه المتون المختصرة التى وجدت فى عصور الضعف العلمى •

والحمد لله أن جماهير المسلمين فى مصر وفى غيرها ــ فيما نعلم ــ أصـبحت تتقبل الفتـاوى والأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة بارتياح واقتناع كاملين • ورغم ذلك فما زال بعض علمائنا يتمسكون بما جاء فى المتون والحواشى فيما يقدمونه للناس حتى اننا نقرأ كلاما غريبا يعرض على صفحات الجرائد السيارة يقدم للمسلمين على أنه علم يجب عليهم أن يعرفوه •

من ذلك ما نشرته جريدة الأهرام الصادرة يوم ٢٣ رمضان ١٤٠٤ الموافق ٢٣ يونيه ١٩٨٤ تحت عنوان « أحكام الصيام » التى يقدمها فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة مفتى مصر حيث تكلم فضيلته عـن

مفسدات الصوم ، فأورد فيها أمورا توجب القضاء والكفارة منها كما يقول فضيلة المفتى « الجماع فى أحد السبيلين على الفاعل والمفعول به ، وأكل اللحم النيىء ، وأكل الشحم ، وأكل الحنطة وقضمها ، وابتلاع سمسمة أو نحوها ، وأكل الطين الأرمنى مطلقا ، والطين غير الأرمنى كالطفل ان اعتاد أكله ، وابتلاع بزاق زوجته أو صديقه لا غيرهما»

كما أورد فضيلة المفتى أمورا من مفسدات الصوم توجب القضاء دون الكفارة منها : « اذا أكل الصائم أرزا نيئا ، أو عجينا ، أو دقيقا بدون سكر ، أو طينا غير أرمنى لم يعتد أكله ، أو نواة ، أو قطنا ،أو سفرجلا لم يطبخ ، أو ابتلع حصاة ، أو حديدا ، أو ترابا ، أو حجرا »

والغريب فى هذا الذى ذكره مفتى مصر أننا لا نعلم أن أحدا من الناس يأكل اللحم النيىء ، ثم اذا تم طهو هذا اللحم هل يحل أكله أثناء الصيام ؟ ثم من الذى يبتلع بزاق زوجته أو صديقه (لا غيرهما كما يقول المفتى)؟ومن الذى يأكل أرزا نيئا ؟ وما هو الطين الأرمنى الذى يقتضى أكله القضاء والكفارة ؟ وما هو الطين غير الأرمنى الذى يعتبر أكله من مفسدات الصيام ؟ وما الفرق بين الدقيق بدون سكر والدقيق بالسكر بالنسبة للصائم ؟ وبين السفرجل الذى لم يطبخ والسفرجل المطبوخ ؟ أمور ليت فضيلة المفتى يشرحها لنا لنزداد علما ان كان ذلك من العلم •

وما أظن أن واحدا من قراء جريدة الأهرام قرأ هذا واستفاد منه شيئا ، أو قرأه ولم يشعر بالاشمئزاز والتأفف • بل أكاد أقول ان نقل هذا الكلام من كتب المتون ونشره على الناس اليوم يعتبر جريمة فى حق المسلمين لأنه يزيدهم ضعفا على ضعفهم ، وما أحوج المسلمين فى كل بقاع الارض الى أن يزدادوا قوة وتماسكا لا ضعفا وتفككا •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

نفحات قرآنية

بقلم بخاري أحمد عبده

— ٣ —

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون • شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » •

اسار العقلانية ، ونير العلمانية *

استسلمنا لأرواح الحرية التى تسترسل رخاء حول آيات الصيام تفتت ، وتذرو أثقال الهوى ، والطين ، والمادانية العمياء .

والهوى ، والطين ، والمادانية تتلاحم بخصائصها العنصرية ، وتتوافق بعلائقها الشيطانية ، وتتفاعل ، ثم تسبك أطواقا ، وتصاغ سلاسل ، وترتفع سجونا تزهق فيها أنفاس الحرية الربانية التى تتيح للعبد أن يرشد ، ويلطف ، ويعلو ليحوز صلاحيات الخلافة فى الأرض .

ورأينا فى غيابة تلك السجون قطعانا فى غفلتها تعمه (١) ، وتمرح . وسمعنا نبيب التيوس يصلصل معلنا عن حيوانية دنيا ، لا ترودها (٢) قيم ، ولا يكبحها ايمان .

والأيادى التى تمسك بزمام تلك التيوس ، وتلعب بها مثيرة ، وموجهة ، تحرص على أن تحشو أديم (٣) التيوس بمغالطات ، وخدع تربيها (٤) ،

* الاسار القيد والنير خشبة توضع على عنق الثور فتحدد حركته

(١) تتخبط .
(٢) تقودها .
(٣) جلد .
(٤) تزيدها وتنميها .

وتذكيها عقدة النقص التى تستحكم فى اعماق كثيرين منا متولدة من الانتكاسة التى اصابت العرب والمسلمين منذ هجروا الدين ، وجهلوا الدنيا ، فخسروا الدارين .

ومن الحيل التى تلعب بها القوى المضادة للاسلام : المبالغة فى تقدير العقل ، حتى يمسى ربا يعبد من دون الله ، والبغى فى تقديس العلم حتى يخال الها يرجى من دون الله .

والعقل نور روحانى . وهو — بحكم كونه نورا — يكشف لك العلوم الضرورية والنظرية . وبحكم كونه روحانيا يأنس بالغيبيات التى جاءت فى القرآن أو السنة الصحيحة . يعبر هذه الحياة المحدودة الى حياة اخرى لا تحد ، وتجريد العقل من خاصيتيه ، وجعله اليكترونيا بحتا يحيله الى قيد يعقل (١) ويحبس فى محيط محدود ، ويجرده من أجنحته التى يضرب بها فى الآفاق . وقوى العقل مستمدة من كل الطاقات التى ميز الله بها الانسان من حواسه ، ومداركه ، ومشاعره ، ومخه ، وقلبه ، وروحه . فاذا عددنا العقل جهازا قائما بنفسه مستقلا فقد أوغلنا فى الشطط .

والانسان بكل قواه محدود الزمان ، والمكان . والعقل جانب من جوانب هذا المحدود . أما ملكوت الله بشهادته ، وغيبه ، ودنياه ، وآخرته ، فغير محدود . والله الذى لا يكلف نفسا الا وسعها لم يكلف العقل أن يتجاوز حجمه . ولكنه اطلق له العنان كى ينشط فى عالم الشهادة . وكفاه سبحانه عالم الغيب وتكرم فعرض أمامه من قضايا الغيب ومشاهد القيامة ، ومن تاريخ ما قبل التاريخ ما عرض .

وواجب العقل أن ينظر ، ويسير ، ويستقرىء ، ويفرض الفروض ، ويحقق النظريات فى مجالاته الدنيوية . أما واجبه حيال الغيبيات التى صحت فهو أن يخشع ، ويؤمن . ولا بأس من أن يتبصر ويحاول أن يجد علة ، او يستنبط حكمة . أما أن يزن بقواه الثابت الصحيح فيقبل أن وافق الهوى ، ويرد ان لم يوافق .. فهذا هو الجموح المردى وهو العقلانية المرفوضة .

والعلم وليد القوى العقلية فهو — كأصله — محدود . وصدق الله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ومحصولنا العلمى أهون من أن نقدر به كل حقائق الدين . والمولى جل وعلا يصنع للانسان ، ويجبر قصوره العلمى فيعلمه من شئون دينه ،

---

(١) عقل الرجل البعير اذا شد ساقه الى ذراعه .

وشئون حياته الاخرى ما به قوام أمره ، وصلاح حياتيه .

وانتفاخ الانسان بهذا العلم الضئيل الذى يتاح له ظاهرة مرضية تنذر بالدمار (... حتى اذا أخذت الارض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا ، أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ...) يونس . وكمال الانسان ، وجماله فى أن يبحث ويتعلم علم الدنيا ، والآخرة . واهلية الانسان للخلافة تعظم ، أو تقصر بمقدار ما حقق من علم مورث للتقوى (انما يخشى الله من عباده العلماء) أما العلم الذى ينفخ الأوداج ، ويطغى ، وينسى ، فهو علم قارونى قد يضفى بريقا محدودا ، وقد يكفل مكانة مؤقتة ، ومتاعا قليلا (قل متاع الدنيا قليل) .

والحديث عن رق العقلانية ، ورق العلمانية حديث يطول . والذى يهمنى ، أن أشير الى قوم يتشدقون بالعقل ، والعلم ، ويحكمونهما فى مثل قصة الاسراء والمعراج . ينكرون ، ويردون ، ويتندرون بالاسلام ، وبالمسلمين الذين يرددون كالببغاوات اساطير ينبذها القرن العشرون ، ويركلها العقل ، وينسفها العلم المعبود . ولقد قلنا ان هؤلاء موجهون مدفوعون بقوة نفخ الاعداء ، وبتفاعل السموم التى حشيت بها بواطنهم (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وان الله لا يهدى القوم الكافرين . أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ، وسمعهم ، وأبصارهم ، وأولئك هم الغافلون . لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) النحل ١٠٧ — ١٠٩

ان هؤلاء يهرون كالكلاب المسعورة خلف الاسلام ، وقيمه ، ويفقدون الصواب كلما رأوا مبادىء الاسلام تستأثر باهتمامات الشباب ، ويفزعون كلما لمحوا فى وجوه ساداتهم ما ينم عن التبرم من اتساع المد الاسلامى. وهؤلاء اذ ينطلقون فى كل اتجاه ، ويعوون ، يضم أعناقهم حبل طويل طرفه الآخر فى قبضة القوى المضادة للاسلام . فهم ليسوا أحرارا ، وان زعموا أنهم ينطلقون من قاعدة الفكر الحر . كيف وهم معبئون بشحنات مستوردة .

وليت هؤلاء المتشدقين بالقرن العشرين يعون مغزى تصنيف رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرون تصنيفا تنازليا وذلك فى حديث شريف متفق عليه : خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون ، ويحلفون ولا يستحلفون ، ويظهر فيهم السمن .

وهذه كلها صفات تدل على الاضطراب ، والخفة ، والطيش . ووطأة السمانة التى تعتريهم تحط

بهم ، وتفقدهم الهمة ، وتحبسهم طى رغبات الجسد الملىء الجسيم وهى — بعد — سمانة جوفاء يملؤها الريح :

أعيذها نظرات منك ثاقبة .. ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم « المتنبى »

ولولئك المنتفخون هم صنائع الشيطان . فالشيطان منذ أضحى فى الملكوت مذموما ، مدحورا يتابع الزفرات ، ويواصل النفخ مستهدفا

١ — اطفاء نور الله

٢ — ملء تجاويف بعض جنوده بزفيره حتى يروا (بالبناء للمجهول) جساما مترهلين (أ)يغرون بمنظرهم (ب) وكى يستدوا مسد الطبل حين يبدو للشيطان أن يدق ، ويثير ، (ج) وحتى يغدوا أفواها للشيطان ، يفرغون ما اختزن (بالبناء للمجهول) فى أجوافهم من ريح على مصادر نور الله ، وموارد دينه

(د) وهؤلاء — بحجمهم المنتفخ — لعبة الشيطان ، ومتعة رجليه ، يدحرجهم بينهما ، ويقذف بهم نحو أهدافه التى منها ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشهدون ولايستشهدون ويحلفون ولا يستحلفون ويخونون ولا يؤتمنون ... الخ يخونون الله ورسوله ، ويشهدون زورا ضد الاسلام ، ويحلفون ضرارا ، وتغريرا وتفريقا بين المسلمين .

الفراغ الفكرى والغزو الفكرى

فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :— لما صور الله آدم فى الجنة تركه ما شاء أن يتركه ، فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك .

ولعل الملائكة الكرام حين افصحوا عن الدهشة،والعجز عن اكتناه (١) الحكمة فى اصطفاء آدم بقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ...) لعلهم نظروا الى هذا الفراغ الأجوف الذى أقيم عليه آدم . هذا الفراغ الذى لا يتيح لصاحبه أن يتمالك . فوق أنه عرضة لأن يمتلىء بأى شىء .. بالطاهر ، والنجس ، والنظيف ، والقذر . كالحفرة التى تستقبل كل عارض ، وتبتلع أى وارد .

والحق أن الخواء (٢) الأجوف واحة الشيطان . يخب (٣) فيه ، ويضع ،

---

(١) الاكتناه بلوغ الكنه . والكنه جوهر الشىء ، ووقته ، وغايته .
(٢) الخواء الفراغ (٣) يرتفع ويحط

ويبيض ، ويفرخ ، ويتخذه محط رحاله ومختزن آصاره ، وأغلاله .

والفراغ متنفس المستعمرين ، ومجال الغزو الفكرى . والمولى الذى اصطفى آدم خليفة لم يكن ليتركه نهب هذا الفراغ البلوع . فلا عجب اذا سد الله الفراغ ، وحشا التجويف بعلم لا يعلم كنهه غير الله (وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون) البقرة .

الفراغ اذن متاهة مضلة ، ومطرح لشباك الغازين ، وهوة تحجب الأضواء ، وتخنق الأنفاس .

والفراغ هو عين الجاهلية التى كان العرب يقاسونها قبل الاسلام .

وهذا الفراغ الذى ضاعف من وحشته عقدة الأمية التى أورثت العرب ما نسميه اليوم بمركب النقص . استغله اليهود اسوأ استغلال فحشوه بالغث ، وهالوا عليه من قماماتهم ، وأباطيلهم ما ظنوه يكفل لهم الهيمنة ، وساقوا العرب كما تساق الأنعام .

والقرآن الكريم وهو يواجه الغزو الفكرى المعتمد أساسا على الفراغ الفكرى قام بعمليتين مترابطتين :

١ — بنزح ما تراكم فى الاعماق من أباطيل أهل الكتاب .

٢ — وبشغل ما كان أو ما نجم من فراغ ببدائل ذات شعاع يشفى ، ويضىء ، بدائل دسمة تغذو ، وتروى ، وتملأ الفراغ .

أمثلة هادية

١ — تحريرا من وطأة الفراغ بدأت سورة البقرة بالاشارة الى الكتاب بأداة توحى برفعة المنزلة « ذلك » ثم جاءت كلمة « الكتاب » محلاة بـ « ال » الموحية بالاستغراق ، والهيمنة ، والاستئثار — دون الكتب الأخرى المتداولة — بكل معطيات كلمة «كتاب » والأوصاف التى تبعت الموصوف « الكتاب » تؤكد هذه المعانى ، وتبين سر تميزه عن كل الكتب المتداولة ، وهو انفراده بأنه « لا ريب فيه » وبأن تذوقه التذوق الكامل حظ المؤمنين المتقين « هدى للمتقين »

وهذا الأسلوب — بكل جزئياته الهادفة — فوق ما يحمل من هدايات . .

صلصلة مثيرة كتلك الصلصلة التى كانت تواكب الوحى تنبيها ، وتهيئة لنفس الرسول ، واستخلاصا لوجدانه من كل ما يشغل .

والاشادة بالكتاب على هذا النحو تشد الانتباه ، وتثير الأذهان المتعثرة فى فراغ الامية ، ومتاهات الجاهلية. فما أشبه هذا الاسلوب الوجيز البليغ بحبل الانقاذ تدليه الى متردد فى بئر سحيقة ، ليتحسس ، ويتعلق، ويلتمس أسباب النجاة من الوهدة الخانقة ، فاذا ضممنا الى هذا ما تحدثه الأحرف المتقطعة (أ ل م) من اثارة وصلصلة زائدة ، علمنا مدى اهتمام القرآن بانتشال الهائمين فى درب الفراغ .

وتبلغ عملية الانتشال مبلغها بآيتى التحدى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس ، والحجارة أعدت للكافرين)

وعندئذ تشرئب الأعناق ، وتتطلع الأفئدة ، وتعاد (بالبناء للمجهول) الحسابات ، ويعظم الاحساس بوطأة الفراغ ، وضرورة التماس المخرج . والمخرج يتمثل فى هذا الحبل الممدود فى هذا الكتاب الذى يلوح كما تلوح المنائر لبحرين فقدوا الهدى فى يم متلاطم الأمواج .

٢ — وفى طريق عمارة الفراغ العميق ينزع القرآن من التاريخ ، ومن تاريخ ما قبل التاريخ حتى تصح المعلومات وتتم دائرة المعارف التى تحدد الموقف العلمى ، وتكون التربة التى تحتضن جذور الشجرة الطيبة الوارفة الظلال . تعرض السورة قصة الحوار العلوى وتعكس أصوات الملأ الأعلى ، وتبرز نشوز ابليس ، وفسقه عن أمر ربه كى نشكر ، ونقدر ، ونحذر من أن نتخذ ابليس وذريته أولياء من دون الله . واقرأ فى هذا من قوله سبحانه : (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل ...) الى قوله تعالى :— (قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة ٢٨ .

ومن هذا تلك النظرات السديدة فى المجتمع ، وتلك الدراسة الثاقبة التى تقلب الناس ، وتبين أنماطهم ، ونفسياتهم واتجاهاتهم (ومن الناس) (ومن الناس ...) (ومن الناس ..)

فالناس هم رفقاء الطريق ، وأبطال مسرح الحياة ، والعملة الحيوية ، وسياسة الناس تبنى على معرفة الناس فهم المحك . والمسلمون

أخرجوا للناس قاطبة . ودينهم يوفر لهم دراسات شافية حتى لا ينشئوا احتكاكهم ومعاملاتهم على فراغ .

٣ — وتسبح السورة بالمؤمنين سبحا طويلا عبر الكائنات ، والكون تدريبا على النظر ، والاستقرار ، والتحليل ، وتعميقا لروافد الايمان ، وطردا لما تكدس من أوهام ولدها الفراغ الرهيب (يأيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا ، وأنتم تعلمون) البقرة ٢٢ (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شىء عليم) البقرة ٢٩ (ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل ، والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء ، والارض لآيات لقوم يعقلون) البقرة ١٦٤

٤ — وتعرض السورة ما تعرض من تاريخ الامم وكفاح المرسلين كى تستقيم المعلومات التاريخية سدا ضد الأساطير والخرافات التى تنعق فى الفراغ نعيق البوم فى الخربات (واذ قال موسى لقومه .....) ٥٤ البقرة

(واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ..) ١٢٤ البقرة (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) البقرة (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى ..) البقرة ٥ — وأمد سبحانه بشرائع قويمة تملأ الفراغ ، وتضبط الحياة ، وتشد أواصر الأسرة ، وتحكم العلاقات الاجتماعية بشرائع تناولت الاحوال الشخصية من نكاح ، وطلاق ، وارضاع ، ونفقة ... الخ ، والأمراض الاجتماعية من خمر وميسر وعدوان ... الخ ، والأحوال الاقتصادية من ديون ، ورهن ، وربا ، وصدقات ، وزكاة .. الخ ، والعلل النفسية من جزع ، وجبن ، ونهم ، واثرة ، وكتمان للحق ... الخ ، والحيل النفسية التى تدفع الى اعلاء الصوت بالأمر ، والنهى دون أن تأتمر ، وننتهى (أتأمرون الناس بالبر ، وتنسون أنفسكم ..) الى غير ذلك من المعارف الدسمة التى تسد الخصاصة ، وتملأ خواء العقيدة ، والفكر ، والوجدان .

بخارى أحمد عبده

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

الحج

يصدر هذا العدد من مجلة التوحيد عن شهر ذى القعدة ١٤٠٤ ، باذن الله تعالى ، وحجاج بيت الله الحرام يتأهبون للسفر لاداء فريضة من فرائض الاسلام ، بها يكتمل دينهم لو تزكت نفوسهم من أدران الوثنية ، مما يشاهد حول المقبورين فى المساجد ، فلو جمعوا بين صحة الايمان ، والاخلاص فى العمل غادوا بحج مبرور ، وذنب مغفور ، وليس لهذا الحج من جزاء الا الجنة .

واذا كان الحج ركنا من أركان الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) فان الله لم يفرضه الا على من توفرت لديه نفقات الحج ذهابا وايابا ، ونفقة الأهل والعيال حتى يعود . وهذه الاستطاعة بالنسبة للرجال فقط .

ـ حج المرأة ـ

أما النساء فقد اشترط الاسلام زيادة على الاستطاعة المالية والبدنية ، أن يكون مع المرأة زوجها أو أحد محارمها على التأبيد ،

كالأب والابن ، والأخ والعم والخال • وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع زوج أو ذى محرم) فقام رجل • وقال يارسول الله : ان امرأتى خرجت حاجة ، وانى اكتتبت فى غزوة كذا • قال (فانطلق فحج مع امرأتك) متفق عليه •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسافر المرأة ثلاثة أيام الا ومعها ذو محرم) متفق عليه •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة ، الا مع ذى محرم) متفق عليه •

هذا هو الاسلام الحق الذى يريد بالمرأة أن تكون مكرمة فى سفرها ، لا تتعرض للاهانة أو المشقة فى السفر ، الذى هو قطعة من العذاب • كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره ، فليعجل الى أهله) متفق عليه — نهمته = مقصوده — والمعنى أن السفر يأخذ من راحة المسافر ويختلف معه طعامه وشرابه ونومه — فمصاحبة الزوجة لزوجها ، أو لأحد من محارمها يخفف عنها من وعثاء السفر وكآبته ، اذ يقوم بخدمتها ، ويحمل متاعها ، ويسهر على راحتها ، ويقضى لها شئونها ويرعاها ، وخاصة فى سفر يبسوده الزحام ، كالمطاف والمسعى ورمى الجمرات • وهذا كله يعتبر تكريما للمرأة ، لا انتقاصا من حقوقها •

ولكن فى هذا العصر الذى ليس له ضابط من دين ، يباح للمرأة أن تسافر للحج أو العمرة بمفردها بحجة أنه ليس لديها محرم يصحبها ، ثم يفتيها العلماء بأن الحج صحيح اذا سافرت فى رفقة مأمونة • وهذا استرضاء من العلماء للنساء ، لأن نهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم واضح صريح لا يحتمل تأويل العلماء وخاصة الذين يلقون الكلام على عواهنه ، ويحرفون الكلم عن موضعه ، كالعالم الدكتور الاستاذ الشيخ الذى يفتى بتحليل مخالطة الفتيات بالشبان فى الرحلات ومعاهد العلم • فمثل هؤلاء يوزن قولهم على الكتاب والسنة ، فان خالفهما يجب رده ، والاعراض عنه • وألا نقدم قوله على قول الله ورسوله • قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله • واتقوا الله ان الله سميع عليم)

انه لمن المحزن حقا أن يردد أمثال هؤلاء الاحاديث المكذوبة ، اما عن عمد أو جهل ليحظى برضاء أولئك (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا • أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) الكهف ١٠٤ — ١٠٥

وانى أنصح المرأة ذات الدين والخلق ، والتى تجعل من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فوق فوق فوق ما يردده أهل العلم أن ترد الفتاوى التى تصطدم بنص قرآن ، أو حديث نبوىّ صحيح • ولتحذر ما يردده أولئك من الاحاديث الموضوعة ، أو كقولهم اذا عجزوا عن اقامة الدليل (قالت العلماء) ليفزع الى هذه الكلمة عند العجز • وهذا من التلبيس والتدليس

وصفوة القول أن سفر المرأة وحدها ، سواء كان سفرا مباحا ، أو لعبادة ، يعرضها للمهانة والاختلاط بالرجال ، والمتاعب التى بينها المعصوم صلى الله عليه وسلم • ناهيك بالاختلاط فى الفنادق والخيام ووسائط النقل • بل يعطينا فكرة عن الحكمة فى منع سفر المرأة بلا محرم • والتحريم جاء سدا لذريعة الاختلاط بين الجنسين • فهل من سميع أو مجيب ؟ • انه لا يستجيب للحق الا من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد •

ياقوم لقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين • لقد انحدرت المرأة فى عصرنا هذا الى أشد من الجاهلية الأولى • خالطت الرجال والشبان ، بزينتها وأصباغها وملابسها الشفافة فى الحافلات (الأتوبيسات) والمكاتب والدواوين والشركات والمصالح والوزارات • ولم ينكر أحد من العلماء ، ولا من أولياء الأمور ، ولا من الأزواج والآباء •

واذا كانت المرأة استحلت ما حرم الله فى الطريق ، ومحل العمل ، فلا يقاس ذلك على الحج • ولابد من الصدع بالحق ولو كره المارقون •

واذا كان الله تعالى يقول فى الحج (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) فالحج بلا تقوى ، حج باطل مردود على صاحبه • فعلينا أن نأخذ من ديننا لدنيانا • وذلك بأن نجعل الدين مصلحا للمعوج من الدنيا • وألا نجعل من الحج هدفا يبتغيه أهل الرياء ، وذلك بالحصول على لقب (حاج) وانما يتقبل الله من المتقين •

فاذا لابس الحج رغبة فى الشهرة ، وكان المال مشوبا بالحرام ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وكانت رحلة الحج يسودها الجدال والعراك والصخب ، وكانت أفعال الحاج فى الحج مشوبة بالبدع والخرافات • فصاحب هذا الحج يرجع مأزورا ، لا مبرورا •

وعلى الحاج أن يفتح عن بصيرته لما صح من الأحاديث التى يرددها الناس ، وعليه أن يرد الأحاديث الموضوعة التى نشير اليها بعد ، ان شاء الله تعالى وتلوكها ألسن علماء السوء • فهى أخطر ما يكون كذبا على الله ورسوله •

فمن الأحاديث الصحيحة الواردة فى فضل الحج : —

١ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (خطبنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا • فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ • فسكت حتى قالها ثلاثا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم • ثم قال : ذرونى ما تركتكم • فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم • فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه) رواه مسلم •

٢ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) متفق عليه •

٣ ــ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ فقال (ولكن أفضل الجهاد حج مبرور) متفق عليه •

٤ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه : سئل النبى صلى الله عليه وسلم (أى العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله • قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله • قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور) متفق عليه • والمبرور هو الحج من مال حلال ، وعن ايمان سليم ، ولم يرتكب اثما فى حجه •

٥ ــ عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما • والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) متفق عليه •

ومن أراد المزيد من الأحاديث الصحيحة فعليه بصحيح البخارى وصحيح مسلم وكتاب رياض الصالحين ، وحجة الوداع فى زاد المعاد لابن القيم •

ولتحذر أن تأخذ من الكتاب المسمى (احياء علوم الدين للغزالى) ففيه الغث والسمين • وفيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة شىء كثير •

كمـا ينبغى الحـذر من الكتب المسمومة والمشحونة بالقصص الخرافى : مثل كتـاب الروض الفائق ، ومكاشفة القلوب للغزالى ؛ وخزينة الأسرار ، ونزهـة المجالس ، والعرائس فى قصص الأنبياء للثعالبى ، والطبقات الكبرى للشعرانى ، وكتب الشيخ عبد الحليم محمود فى مناقب البدوى ، وأبى العباس • فهـذه الكتب وأمثالها محشوة بالضلالات ، وفيها تحليل ما حرم الله من بدع وخرافات •

أحاديث مكذوبة ينبغى الحذر منها

١ ــ (توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم) فهذا الحديث يصطدم بالقرآن والسنة ، فالقرآن يقول (ولله الاسـماء الحسنى فادعوه بها) وأما السنة فخير ما يتوسل به العبد ، عمل صالح • كما ورد فى قصة أصحاب الغار الثلاثة •

٢ ــ قولهم كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم (من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ، ومن زارنى حيا وجبت له شفاعتى) قـال ابن تيمية لا أصل له • وقال الشوكانى موضوع •

٣ ــ (من حج ولم يزرنى فقد جفانى) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات • ومعلوم أن من جفا رسول الله فقد كفر • وكيف يكفر من يحج ولم يزر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن هذا لشىء عجاب •

٤ ــ وقولهم (من حج وزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى) قال ابن الجوزى انه موضوع •

والصحيح ألا تشد الرحال الى قبور ، ولو كانت قبور أنبياء • وانما تشـد الى نوع خاص من بيوت الله تعالى • أوضحها النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله الشريف (لا تشد الرحال الا لثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى) متفق عليه •

وقوله صلى الله عليه وسلم فى فضل هذه المساجد الثلاثة (صلاة

فى مسجدى تعدل ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه ، وصلاة فى المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة) رواه أصحاب السنن .

حكمة مشروعية الحج

ان الحج مظهر من مظاهر الاســـلام ، فنرى الناس فى الحج أجناسا مختلفة ، تباينت ألسنتهم ، وذابت الفوارق بينهم . فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين حاكم ومحكومين، ولا بين أصحاب الأكواخ وأرباب القصور . جعل الله منهم اخـــوة متقاربين ، ورفقاء متعاطفين ، انحسر عنهم كبرياء الألقاب ، وشرف الأنساب .

لو فطن المسلمون لحكمة اجتماعهم فى المشاعر العظام ، لنبذوا اختلافهم ، وتوحدت كلمتهم ، وتم التعارف بينهم ، قال صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى لـــه سائر الجسد بالحمى والسهر) رواه البخارى وغيره .

ناهيك بالمساواة التى تتمثل فى الاحرام لله ، الناس كلهم رءوسهم عارية ، وليس على أجسادهم الا ازار ورداء ، تهتف ألسنتهم بشعار واحد (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

ان هذا الاجتماع الشامل من بقاع الأرض ، يحقق معنى الأخوة الاسلامية ، فيتدارسون فيما يرفع شأنهم ، ويبحثون فيما يعود عليهم بالخير ، من عزة الدين والدنيا ، ويصبحون قلبا واحدا ، ويدا واحدة ، وجسما واحدا فى وجه عدوهم .

كما أن فى الحج تذكيراً للانسان بما هـــو قادم عليه من أهوال الآخرة . ففى الوقوف بعرفة تذكير بحشر الخلائق فى صعيد واحد ،

حفاة عراة ، يوم لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هـو جاز عن والده شيئا • يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه •

أليس فى ذلك ما يهذب النفس العاصية ؟ ويردها من الحج نقية طاهرة ، قد شملها الله تعالى بمغفرته ، وغشيها برحمته (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) •

كيفية الحـــج

لما كانت حجة الوداع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هى الأسوة الحسنة لكل حاج • وقد ردد النبى صلى الله عليه وسلم فيها قوله الكريم (خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا)

فانا نكتفى بذكر أحكام الحج المستمدة منها ، ثم نذكر تفاصيل حجة الوداع والله المستعان • وعلى الحاج أو المعتمر أن يلم بها ليعبد الله تعالى على بينة •

أحكام الحج والعمرة

الحج : هو القصد الى بيت الله الحرام ، ليعبد الله فيه على نحو ما شرع الله تعالى فى أيام مخصوصة • والعمرة : ــ هى زيارة البيت الحرام ، وليست مرتبطة بزمان معين • فيجوز أداؤها فى أى وقت من أيام السنة •

أركـــان الحج

والحج لا يصح الا بأداء أركانه الاربعة التالية : ــ

١ ــ الاحرام من الميقات

٢ ــ طواف الافاضة •

٣ ــ السعى بين الصفا والمروة •

٤ ــ الوقوف بعرفة •

وأركان العمرة : ــ

١ ــ الاحرام من الميقات •

٢ ــ طواف العمرة •

٣ ــ السعى بين الصفا والمروة •

الركن الأول (الاحرام)

اذا وصل الحاج أو المعتمر الى الميقات (وهو المكان الذى حدده الشارع) للاحرام عنـــده ، اغتسل ان تيسر ، أو توضأ ، ثم صلى ركعتين ، وان لم يستطع كمن يركب الطائرة فلا حرج عليه •

ثم يتجرد من ملابسه ويلبس الازار والرداء ، ويشرع فى الاحرام، فيهل (بضم الياء وكسر الهاء) ويقول لبيك اللهم بحج أو بعمرة ، أو بهما معا اذا ساق الهدى من بلده معه ثم يشرع فى التلبية فيقول (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك • ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) •

ويستحب تكرار التلبية ورفع صوت الرجال بهـــا ، وتجديدها عند كل مناسبة ، من صعود أو نزول أو ركوب ، أو عقب كل صلاة ، أو عند لقاء اخوان ، أو عند الرجوع الى المنازل بمكة ويستمر فى التلبية للعمرة ، حتى يفرغ منها بحلق أو تقصير •

وفى الحج تقطع التلبية بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر •

محظورات الاحرام

لا يلبس المحرم ثوبا مخيطا ولا يلبس السراويل الا اذا لم يجد ازارا ، ولا يغطى رأسه بشىء مطلقا ، ولا يقلم ظفرا ، ولا يأخذ من شعره • أما المرأة فاحرامها بثيابها العادية غير أنها لا تلبس القفازين ولا تنتقب الا فى حضرة الرجال •

ومن اضطر الى تغطية رأسه أو لبس ثيابه ، فعليه فديـــة من صيام (ثلاثة أيام) أو صدقة (اطعام ستة مساكين) أو نسك (أى ذبيحـــة) .

ومن فعل شيئا من ذلك ناسيا فلا شيء عليه . كما أنه اذا خرج منه دم بجرح أو غيره فلا شيء عليه .

كما يجوز للمحرم أن يغتسل غير أنه لا يبالغ فى دلك شـــعره خشية أن يسقط منه شيء ومن نتف شعرات يسيرات فليتصدق .

ويجوز للمحرم قتل الحيوان المؤذى لقوله صلى الله عليه وسلم (خمس يقتلن فى الحرم : الحية والعقرب ، والغراب ، والفأرة ، والكلب العقور) .

كما يحرم عليه مس طيب ومقدمات الجماع من قبلـــة وغيرها لقوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

كما يحرم عقد النكاح أو خطبته . لقوله صلى الله عليه وسلم (لا ينكح المحرم ، ولا ينكح (للمجهول) ولا يخطب .) رواه مسلم

وأما مقدمات الجماع ففيها شاة لا يأكل منها . وأما الجماع أثناء الاحرام ، فانه يفسد الحج مطلقا . غير أنه يجب الاستمرار فيه حتى يتمه وعلى صاحبه أمران : —

١ — ذبح بعير .

٢ — قضاء الحج من العام القادم .

وأما سائر الذنوب مما يدخل تحت لفظ الفسوق ، ففيه التوبة والاستغفار . ومن أحرم بعد تجاوز الميقات فعليه اما أن يعود الى الميقات ليحرم منه ، أو عليه ذبيحة لا يأكل منها .

الركن الثانى (الطواف)

هو أن يدور حول الكعبة سبعة أشواط مبتدئا من الحجر الأسود.

أنواعـــه

ركن : ــ هو طواف الافاضة ولا يصح الحج الا به ويكون بعد الوقوف بعرفة •

واجب : ــ وهو طواف الوداع عندما يهم بالرجوع الى وطنه • ومن تركه لغير عذر فعليه دم • ويسقط عن الحائض والنفساء •

سنة : ــ وهو طواف القدوم ولا بد أن يكون بملابس الاحرام للحج أو للعمرة • وطواف الافاضة أو الوداع بالملابس العادية •

ولا بد أن يكـــون الطواف بطهارة من الحـــدث • وان انتقض وضوءه أثناء الطواف خرج ليجدد وضوءه ثم يبنى على ما فات بمعنى أنه يكمل ما نقص من طوافه •

ويسن فى طواف القدوم (الرمل بفتح الميم) وهـــو مسارعة المشى مع تقارب الخطا • فان منعه الزحام من ذلك فلا حرج • كمـــا يسن له الاضطباع وهو كشف الكتف الأيمن ولا يكـــون ذلك الا فى طواف القدوم فقط للرجال دون النساء •

كما يسن تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف ان أمكن • والا اكتفى بلمسه باليد أو الاشارة اليه عند الزحام •

كما يسن أن يكبر عنـــد بدء كل شوط ويقول (اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليـــه وسلم) •

ويسن ذكـــر الله بالتهليل والتسبيح والتحميد أثنـــاء الطواف.

والدعاء • وذلك كله غير محددٍ بل يدعو الطائف بما يفتح الله على قلبه •

كما يسن استلام الركن اليمانى باليد بدون تقبيل •

وبعد الطواف يصلى ركعتين خلف مقام ابراهيم ان تيسر والا ففى أى مكان من الحرم • ثم يشرب من ماء زمزم ويتضلع منها بعد الفراغ من صلاة الركعتين •

الركن الثالث (السعى بين الصفا والمروة)

هو ركن فى الحج والعمرة • وهو المشى بين الصفا والمروة سبعة أشواط •

وكيفيته : أن يكون بعد طواف • ثم يخرج الحاج أو المعتمر الى الصفا • ويقول أبدأ بما بدأ الله به • ثم يرقى على الصفا حتى اذا رأى البيت استقبله • وقال (لا اله الا الله وحده لا شريك له • لـــه الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير • لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده • ثم يدعو ربه • ثم ينزل فيمشى الى المروة حتى اذا وصل الى العلم الأخضر هرول حتى العلم الثانى فى طريقه الى المروة (والهرولة اسراع المشى) والمرأة لا تسرع دون الرجال • فاذا وصل الى المروة ، صعد عليها • وفعل مثل ما فعل على الصفا •

ثم يعود الى الصفا • وهكذا يكمل الأشواط السبعة • ويستحب أن يكثر من ذكر الله تعالى وأن يتذكر ما كان من السيدة هاجر التى لجأت الى الله تعالى عند اشتداد الكرب ، ونفاد الماء وتعرض ولدها اسماعيل للهلاك ، لم تلجأ الا الى الله ، ولم تستعن الا بـــه ، ولم تستغث الا بالله ، مبتهلة الى الله أن يكشف كربها • فاستجاب الله لها بنبع ماء زمزم •

هذا والمسافة بين الصفا والمروة ٤٠٠ متر يقطعها ٧ مرات فيكون مجموع الأشواط السبعة ٢٨٠٠ متر •

ويجوز الركوب أثناء السعى لعلة أو غـير علة ، غير أن المشى أفضل •

الركن الرابع (الوقوف بعرفة)

أهم ركن فى الحج • لقوله صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة) رواه أحمد والترمذى • ويبدأ الوقوف من بعد زوال اليوم التاسع الى غروب الشمس •

ويجب أن يقف جزءا من النهار ولا ينفر الا بعد الغروب • والا فعليه دم • ويصح الوقوف حتى فجر اليوم العاشر • ومن فاته الوقوف بعرفة بطل حجه •

ويجمع فى عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم • والأفضل أن يؤديهما فى مسجد نمرة مع الامام • ثم يتوجه الى منزله (الخيمة) فيدعو الله تعالى بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة ، له ولأهله واخوانه والمسلمين • والأفضل أن يدعو بالوارد عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم •

واجبات الحج

التى لو ترك واحدا منها فعليه دم

الاحرام من الميقات ، ومد الوقوف بعرفة الى ما بعد الغروب • والمبيت بمزدلفة ولو الى ما بعـد منتصف الليل العاشر حتى يغيب القمر ، ورمى الجمار ، والمبيت بمنى لغير أهل السقاية والرعاية ، والحلق أو التقصير للتحلل من الاحرام فى العمرة أو الحج ، وطواف الوداع • وكل واحد منها لو ترك يجبر بدم مع صحة الحج •

محمد على عبد الرحيم

حجة الوداع

فرض الحج على أصح الأقوال فى السنة التاسعة من الهجرة ، ولم تكن الجزيرة العربية قد طهرت تماما من الشرك بالله ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليحج بالناس ، فخرج فى نحو ألف وخمسمائة من الصحابة . وبينما هو فى الطريق نزلت سورة براءة وفيها « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » فبعث بها على بن أبى طالب يقرؤها على الناس ، وأمره أن يبلغهم « أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » .

وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحج هذا العام ، لما يرى من أهل الجاهلية تعظيما لآلهتهم ، وأنهم يطوفون عراة . ولا يمكن أن يرى ذلك ويسكت ، أو أن يسمع من يهتف بآلهتهم ويسكت على ذلك أيضا . ولا بد أن يغضب لله ، ويخشى أن تقوم ثورة بين المسلمين والمشركين حول بيت الله تعالى فتراق الدماء ، وهذا ما يخشاه رسول الله الكريم .

فلما كان من العام القابل (العاشر من الهجرة) ودخل شهر ذى القعدة أذن فى الناس بالحج ، وبعث من يبلغ القبائل ليخرجوا للحج مع رسول الله ، أو يلتقوا به فى مشاعر الله بمكة لأنه يحب أن يلقاهم ليبلغهم جميعا رسالة ربه .

وفى اليوم الخامس والعشرين (وكان يوم سبت) صلى الظهر بمسجده بالمدينة وخطب الناس فيما يعمل الناس حين احرامهم ، ثم خرج الى ذى الحليفة (ميقات أهل المدينة) وتسمى الآن آبار على ، وهى على مسيرة نحو عشرة كيلو مترات من المدينة ، فنزل بها وصلى العصر ركعتين والمغرب ثلاثا والعشاء ركعتين وبات بها ، وكان معه نساؤه التسع رضى الله عنهن ، فطاف عليهن كلهن فى هذه الليلة ، ثم اغتسل غسلا واحدا ، ثم صلى الصبح ، ثم طيبته عائشة بطيب فيه مسك استمر ثلاثة أيام وذلك قبل احرامه .

وفى أثناء ذلك ولدت زوجة أبى بكر رضى الله عنه (أسماء بنت عميس) محمد بن أبى بكر . فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمرها أبو بكر بأن تغتسل وتترجل (تمشط شعرها) ثم تهل بالحج ، وتصنع ما يصنع الحاج ، الا أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر .

الاحـــرام :

وعند حلول وقت الظهر ، صلى الظهر ركعتين ، وأهل فقال « لبيك اللهم حجا وعمرة . لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » لم يتلفظ بقوله نويت . وليس من هديه أن يقول « نويت » لا فى صلاة ولا فى حج ولا غيره . فالتلفظ بالنية بدعة .

وكل من سمع النبى من الصحابة أهل كذلك . ولمـا استقل راحلته رفع صوته بالتلبية وأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بهـا ، كلما هبط واديا ، أو علا شرفا ، أو لقى ركبا ، وفى أدبار الصلوات المكتوبات وأواخر الليل . وهكذا ظل يلبى حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى « أيها الناس خـذوا عنى مناسككم ، فلعلكم لا تلقونى بعد عامكم هـذا » .

وسار فى طريقه حتى وصل الى سرف (بفتح السين وكسر الراء) مكان بالطريق وحط رحاله ودخـل على عائشـة فوجدها تبكى فقال « مـا يبكيك ؟ لعلك نفست » اى جاءها الحيض فقالت : نعم . فقال « ذلك شىء كتبه الله على بنات آدم . اغتسلى ثم أهلى بالحج وافعلى ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تطهرى » .

وفى هذا المكان (سرف) جـاءه جبريل وأبلغه أن الدخول الى مكـة بالعمرة فى موسم الحج أحب الـى الله . فأخبر النبى أصحابه أن من لم يكن معه هدى يحسن أن يفسخ الحج الى عمرة . وكان ذلك بصورة غير جازمة . واستمر النبى صلى الله عليه وسلم فى سيره حتى وصل الى مشارف مكة فى اليوم الرابع من ذى الحجة . فبات واغتسل من بئر ذى طوى (وقـد لجأ الناس حديثا الى التبرك به ، فأضاع معالمه أهل التوحيد تجنبا للشرك بالله) . وفى صبيحة اليوم الخامس من ذى الحجة دخل مكة فى الضحى . ولمـا وقع بصره على البيت رفـع يديه وكبر وقال « اللهم أنت السـلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ،وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا » ثم اتجـه الـى البيت ، وجعل طرف ردائه الأيمن من تحت ابطه الأيمن ، والقاه على كتفه الأيسر (١) ، فلما حـاذى الحجر الأسود استقبله واستلمه ولم يزاحم عليه ولم يقل نويت الطواف

(١) وهذا يسمى الاضطباع .

محظورات الاحـــرام :

يحـــرم على المحرم من الرجال والنساء قتل الصيد البرى ، وعقـــد النكاح ، والجماع ، وخطبة النساء، ومباشـــيرتهن ، والطيب ، وقص الشعر ، وتقليم الأظفار . ويحرم على الرجال لبس المخيط ، وتغطية الراس الا اذا كان ناسيا فلا شيء عليه . كما يحرم على الجميع قطع الشجر ، وتنفير الصيد ، واخـــذ اللقطـــة الا لمنشدها . ويلاحظ ان عرفة من الحل وليست من الحرم .

طواف القدوم :

جعل البيت عن يســـاره ـــ ولم يكن له دعاء خاص ـــ وطاف بالبيت سبعا ولم يستلم الا الركنين الأسود واليمانى . وكان يقول بينهما « ربنا آتنا فى الدنيا حســـنة وفى الآخـــرة حسنة وقنا عذاب النار » .

ولم يقبل النبى صلى الله عليـــه وسلم من الكعبة ســـوى الحجـــر الأسود ـــ ان تيسر ـــ وذلك اعتبارا من بدء كل شـــوط . فان شق عليه استلامه من الزحام أشار اليه وقال « الله أكبر » . ومن السنة أن يرمل فى الأشواط الثلاثة الأولى من طواف القدوم فقط (والرمل تضييق الخطا مع الاسراع فى المشى) وعند الزحام الشديد يسقط الرمل كما انه لا يجوز فى طواف الافاضة ولا فى طـــواف الوداع ، لأن طواف القدوم يكـــون مع الاحرام .

وبعد الانتهاء من الطواف يضع رداءه علـــى كتفيـــه وينتهى وقت الاضطباع ثم يصلى ركعتى الطواف فى مقـــام ابراهيم ان تيسر ، والا صلاها فى اى مكان بالمسجد الحرام.

ويجوز الطواف راكبا ، فقد روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت « طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع حـــول الكعبة على بعيره بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس » ثم أتى الحجر بعـــد الصلاة فاستلمه وشرب من مـــاء زمزم .

السعى بين الصفا والمروة :

ثم خرج الى الصفا وقرأ قولـــه تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فـــلا جناح عليه أن يطوف بهما » وقال « أبدأ بما بدأ الله به » ثم رقى عليها حتى اذا راى البيت استقبله وقـــال « لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهـــو على كل شيء قدير . لا اله الا الله وحده . صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحـــده » ثم دعا . فعل ذلك ثلاث مرات على الصفا . ثم نزل فمشى الى المروة حتى اذا وصل الى العلم الأخضر هرول حتى العلم الثانى فى طريقه الى المروة (والهرولة

اسراع المشى) والمراة لا تسرع دون الرجال . ثم يمشى بعد العلم الأخضر الثانى الى المروة ويصعد عليها أو يقف عندها ويفعل مثل ما فعل على الصفا . ثم يعود الى الصفا .. وهكذا حتى يكمل الأشواط السبعة — الذهاب شوط والرجوع شوط — ويستحب أن يكثر من ذكر الله فى سعيه . ولو انتقض وضوءه أثناء السعى أتم سعيه بغير طهارة، بخلاف الطواف حول الكعبة فلا بد من الطهارة .

وأثناء السعى يتذكر ما كان من السيدة هاجر التى لجأت الى الله تعالى عند اشتداد الكرب ونفاذ الماء وتعرض ولدها اسماعيل للهلاك . لم تستغث الا بالله ولم تلجأ الا اليه. وظلت تسعى باحثة عن الماء مبتهلة الى الله تعالى أن يكشف كربها . فاستجاب الله لها بنبع ماء زمزم . هذا والمسافة بين الصفا والمروة ٤٠٠ متر يقطعها ٧ مرات فيكون مجموع الأشواط ٢٨٠٠ متر .

وبعد انتهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من السعى أمر كل من لم يسق الهدى معه من وطنه ان يفسخ الحج الى عمرة ، ويتحلل من حجه ويحلق والزمهم بذلك . فعن جابر رضى الله عنه كما جاء فى الصحيحين : أهل النبى صلى الله عليه وسلم بالحج ، وليس مع أحد منهم هدى (ذبيحة) غير النبى صلى الله عليه وسلم وطلحة . وقدم على بن أبى طالب من اليمن ومعه هدى فقال أهللت بما أهل به النبى صلى الله عليه وسلم . فأمرهم النبى أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ويقصروا ويحلوا الا من كان معه الهدى . فقالوا ننطلق الى منى وذكر أحدنا يقطر وكانت معهم نساؤهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم . فقام فينا فقال : لقد علمتم أنى أتقاكم لله ، وأصدقكم وأبركم ، ولولا أن معى الهدى لحللت كما تحلون . ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، فحلوا . فأحللنا وسمعنا وأطعنا . فقال سراقة بن مالك : ألعامنا هذا أم للأبد فقال : بل للأبد . وفى لفظ « ثم شبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه وقال بل للأبد وأبد الأبد . دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيامة » .

فتحلل الناس بالحلق ودعا للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة . وحلوا الحل كله من اللباس والطيب والنساء ولم يبق على احرامه الا رسول الله وعلى بن أبى طالب ومن كان معه هدى .

ثم ذهب صلى الله عليه وسلم الى مكان نزوله بالأبطح بظاهر مكة. فمكث به مدة اقامته بمكة بعيدا عن

الزحام يصلى الأوقات الخمسة قصرا للرباعية الى يوم التروية (الثامن من ذى الحجة) .

الخروج الى منى يوم التروية :

وافق يوم التروية يوم الخميس (وسمى يوم التروية لأن الحجاج يستعدون بأخذ الماء معهم الى عرفات . ولكن فى أيامنا هذه توفر الماء والحمد لله بعرفة ومنى)فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحرموا بالحج من منازلهم ولم يطوفوا بالبيت . فلما وصل الى منى نزل بها وصلى الظهر وبقية الصلوات الرباعية قصرا ومعه أهل مكة . ثم بات بها . وكانوا يلبون من وقت احرامهم التلبية التى هى مقرونة بالاحرام . فلما أصبح من اليوم التاسع وكان يوم جمعة صلى الصبح وانتظر حتى طلعت الشمس فسار الى عرفة حتى بلغ نمرة فوجد الخيمة ضربت له(ومعلوم أن نمرة ليست من عرفة) فنزل بها حتى زالت الشمس ثم خطب الناس على ناقته القصواء وقال :

خطبة الوداع :

ان الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، واستفتح بالذى هو خير .

اما بعد . أيها الناس : اسمعوا منى أبين لكم ، فانى لا ادرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

ايها الناس : ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا . الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى الذى ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع ، وان أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس ابن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وان مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السدانة والسقاية (السدانة خدمة الكعبة ونظافتها لمن يحمل مفتاحها من بنى شيبة . والسقاية القيام على سقاية الحجاج من ماء زمزم) ثم قال : والعمد قود (أى قصاص) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر (خطأ) ففيه مائة بعير (أى أن الدية مائة بعير) فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هـذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما بسوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : ان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق . ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ، ولا يأتين بفاحشة . فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح . فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وانما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، واستوصوا بهن خيرا .

أيها الناس : أنما المؤمنون اخوة، فلا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به فلن تضلوا : كتاب الله وسنتى .

أيها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

قالوا : نعم . قال : ليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس : ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث . ولا يجوز لوارث وصية فى أكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر (الرجم) ، من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أمر بلالا فأذن ثم أمره فأقام فصلى الظهر ركعتين ، ثم أقام فصلى العصر تقديما ركعتين ، وأهل مكة وغيرهم معه يصلون بصلاته .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فوق ناقته القصواء واستقبل القبلة . فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وهو يذكر الله ويدعوه . أما الصحابة فوقف كل منهم يناجى ربه ويسأله فى ذل وضراعة واخلاص .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول « وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف » فما يفعله الناس من الصعود على جبل الرحمة شىء لم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتبر من البدع .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم فى دعائه رافعا يديه الى صدره

كالذليل . وأخبر أصحابه أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة .

ولقد نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة آيـة عظيمة اكملت الدين واختتمت بها الرسالة وهى قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وبذلك اكمل الله الدين وأتم النعمة فلا يصح لأحد أن يصنع شيئا من البدع بعـد اكمال الدين ، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

دعـاء يوم عرفة :

ومن دعائه يوم عرفة : اللهم لك صلاتى ونسـكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ، ولك رب تراثى ، اللهم انى أعوذ بك من عـذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح .

اللهم أنك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنـا البائس الفقير المستغيث المستجير ، والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ، ورغم لك أنفـه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا ، وكن بى رءوفا رحيما ، ياخير المسئولين ويا خير المعطين .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « خير الدعـاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير » وصح عنه أنه قال « أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

ومن الدعاء المأثور : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اللهم أصلح لى دينى الذى هـو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، والموت راحة لى من كل شر .

اعوذ بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء . اللهم انى أعـوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ، ومن الجبن والبخل ، ومن المـأثم والمغرم ، ومن غلبة الدين وقهـر الرجال . اللهم انى أعـوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيىء الأسقام . اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى

ودنياى وأهلى ومالى . اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى ، واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ومن تحتى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى ، وما أنت أعلم به منى . اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى . اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير . اللهم انى أسألك الثبات فى الامر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم وأنت علام الغيوب .

اللهم رب النبى محمد صلى الله عليه وسلم اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأعذنى من مضلات الفتن ما أبقيتنى .

اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن : أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء . اقض عنى الدين وأغننى من الفقر . اللهم أعط نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم انى أعوذ بك من الجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر . اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت . أعوذ بعزتك أن تضلنى لا اله الا أنت . أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والانس يموتون . اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والأهواء والأدواء ، اللهم الهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى ، اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك . اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم انى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم .

ويكرر : لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير . ويكثر : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة الابراهيمية .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا كرر الدعاء ثلاثا ويلح فى الدعاء ويسأل ربه من خيرى الدنيا والآخـــرة .

فضل يوم عرفة :

انه يوم عظيم ، يذكر بيوم المحشر الكبير ، يجود الله فيه على عباده ، ويباهى بهم ملائكته ، ويكثر فيـــه العتق من النار . وما يرى الشيطان فى يوم هو فيه أدحر ولا أصغر ولا أحقر منه فى يـــوم عرفه الا ما رئى يوم بدر . وذلك لما يرى من كـــرم الله على عباده واحسانه اليهم وكثرة عتقه ومغفرته .

فقد روى مسلم فى صحيحه عـــن عائشة رضى الله عنهـــا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفه . وأنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ؟ »

فينبغى للمسلمين أن يهينوا عدوهم الشيطان بكثرة الذكر والدعاء وملازمة الاستغفار والتوبة من جميع الذنوب والخطايا .

الانصراف الى مزدلفة :

فاذا غابت الشمس انصرفوا الى مزدلفة بسكينة ووقار ، واكثروا من التلبية . ولا يجوز الانصراف من عرفة قبل غروب الشمس والا وجب عليه دم .

ويصلى بمزدلفة صـــلاة المغرب والعشـــاء جمع تأخير عمـــلا بقول الرســـول صلى الله عليـــه وسلم « خذوا عنى مناسككم » . ولا يلتقط حصى الجمار من مزدلفة كما يفعل من لا يعرف السنـــة ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجمعها من مزدلفة ، ولكن جمعت له من الطريق، وفى أيام منى كان يجمع الحصى من المكان الذى نزل فيه بمنى . فاعتقاد الناس أن الحصى يجمع من مزدلفة دليل على الجهل بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فـــاذا انتهى من صلاة المغـــرب والعشـــاء بالمزدلفة بات فيها حتى يصلى الصبح ثم يأتى المشعر الحرام ويذكر الله عنده ويلبى .

ويجـــوز للضعفة من النســـــاء والصبيان وغيرهم أن يدفعوا الـــى منى آخر الليل وقبل الفجر لحديث عائشة وأم سلمة . أما غيرهم من الحجاج فيتأكد فى حقهم أن يقيمـــوا بمزدلفة الى أن يصلوا الفجر ويذكروا الله عند المشعر الحرام .

ولا يزال الرسول واقفا بمزدلفة حتى أسفر الصبح جدا . وحينذاك جاءه عروة بن مضرس الطائى فقال يارسول الله : انى جئت من جبلى طيىء ، أكللت راحلتى ، وأتعبت نفسى والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه ، فهل لى من حج ؟ فقـــال صلى الله عليه وسلم « من شهـــد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع ، وقـــد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا ، فقد تم حجه ، وقضى تفثه »

وبهذا احتج من قال أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة . وهو مذهب ابن العباس وابن الزبير وكثير غيرهما . والأصح ان من فاته المبيت بمزدلفة من الاقوياء بغير عذر عليه دم .

وفى موقفه هذا قال « وقفت هنا ومزدلفة كلها موقف » .

العودة الى منى لرمى الجمرات والمبيت بها :

وفى طريقه الى منى سألته امرأة من خثعم عن الحج عن أبيها ، وكان شيخا كبيرا لا يستطيع الجلوس على الرحل . فأمرها أن تحج عنه . وسأله آخر عن أمه العجوز فقال « أرأيت أن كان على أمك دين ، أكنت قاضيه ؟ » قال نعم . قال « فحج عن أمك » . وهذا خاص بالحج فقط .

ثم سار صلى الله عليه وسلم الى منى قاصدا جمرة العقبة . فلما بلغها بعد طلوع الشمس وقف أمامها ورماها وهو على راحلته بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة . ثم قطع التلبية بعد الرمى .

وينبغى أن يتصور الرامى أنه انما يحاول اخراج حظ الشيطان من نفسه بهذه الحركة العنيفة ، مظهرا أشد العداوة والكره له ، معظما ربه بهذا التكبير ، ولا يظن أنه يرمى الشيطان بهذه الحصاة ، فان الشيطان يوسوس فى الصدر ، ويجرى من ابن آدم مجرى الدم .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قلب منى فخطب الناس خطبة بليغة أخبرهم فيها بحرمة يوم النحر — يوم الحج الأكبر — وكان يوم السبت — وفضل هذا اليوم عند الله ، وحرمة مكة على جميع البلاد وأمرهم بالسمع والطاعة لأميرهم مادام ملتزما بكتاب الله ، وعلمهم بقية مناسكهم . وانزل المهاجرين عن يمين القبلة ، والانصار عن يسارها والناس من حولهم . وحذر الناس أن يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمرهم بالتبليغ عنه وقال « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ، ثم أداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » وقال «ان الله يقول يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم فليس لعربى على عجمى فضل ، ولا لأبيض على أسود فضل الا بالتقوى. يا معشر قريش : لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم ويجىء الناس بالآخرة . فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا » .

وكان فى كل خطبة يودع الناس . ولذلك سميت حجة الوداع .

وقد التف الناس حوله بعد رمى الجمرة يسألونه فهذا يقول : حلقت قبل أن أرمى . فيقول له « افعل ولا حرج » فما سئل عن شىء قدم أو أخر الا قال « افعل ولا حرج » . وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأيسر الدين ما جاء به رسول الله .

ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة (جملا) بيده .وهذا العدد هو عدد سنوات حياته صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر عليا أن ينحر

بقية المائة . وكان رسول الله قد ساق من المدينة ثلاثا وستين بدنة ، وجاء علي من اليمن بالباقي .

ثم أمر عليا ان يأخذ من كل واحدة بضعة — بفتح الباء — أى قطعة — ويطبخها جميعا . فأكل منها وشرب من مرقها . وأمر أن يفرق من لحمها كله ويتصدق بجلودها ، وأن يعطى الجزار أجره من غيرها .

ثم دعا الحلاق (معمر بن عبد الله) فأشار له الى شقة الأيمن ثم الأيسر ، وقسم شعر الشق الأيمن فى المهاجرين ، ودفع شعر الشق الأيسر لأبى طلحة ليوزعه على الانصار .

والحلق أو التقصير واجب فى مناسك الحج به يتحلل الانسان من احرامه ويلبس ثيابه ويتعطر ، غير انه لا يأتى النساء الا بعد طواف الافاضة .

ثم أفاض النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة قبل الظهر راكبا ، فطاف طواف الافاضة — ويسمى طواف الزيارة — بدون احرام وبدون رمل ، ولم يسع بين الصفا والمروة لانه أدخل العمرة فى الحج وكان قارنا . أما أصحابه الذين فسخوا الحج الى عمرة فجاءوا بسعى الحج سبعة أشواط كما سعوا للعمرة يوم دخول مكة .

وبعد طوافه وصلاته أتى الى زمزم فشرب منها ، فوجد آل العباس يسقون الناس فقال « لولا أن يغلبكم الناس لنزلت وسقيت معكم » ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم .

ثم رجع الى منى وصلى بها الاوقات قصرا حتى أصبح من اليوم الحادى عشر انتظر حتى اذا زالت الشمس مشى من منزله الى الجمرة الصغرى (التى تلى مسجد الخيف) فرماها بسبع حصيات جاء بها من منزله بمنى (لانه لم يأت من مزدلفة بشىء) ويكبر على كل حصاة . ثم استقبل القبلة ودعا الله تعالى .

ثم أتى الجمرة الوسطى وفعل عندها كذلك ثم دعا الله مستقبلا القبلة أيضا . ثم أتى الجمرة الكبرى ورماها وعاد الى منزله .

وقد استأذنه العباس أن يبيت بمكة لأجل السقاية فأذن له . وبات بمنى ثلاث ليال ولم يتعجل فى يومين بل تأخر حتى أكمل رمى أيام التشريق الثلاثة . وبعد ظهر الثلاثاء (١٣ من ذى الحجة) توجه الى الأبطح (منزله بمكة) وصلى الأوقات بها قصرا ، ورقد رقدة ثم نهض ليلا وطاف بالبيت طواف الوداع ولم يرمل فيه ، وبعد صلاة الصبح عاد الى المدينة بحج مبرور .

وأسقط طواف الوداع عن كل امرأة جاءها الحيض بعد طواف الافاضة ومنهن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها ، فقد حاضت بعد الافاضة . فقال : احابستنا هى ؟ قيل انها أفاضت فأسقط عنها طواف الوداع الذى يعد واجبا ومن تركه فعليه دم .

الزيارة

يسن زيارة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى أى وقت من أوقات

السنة ، وليس بشرط أن تكون الزيارة مقرونة بالحج .

ولتكن النية زيارة المسجد النبوى الشريف والصلاة فيه ، ثم زيارة القبر الشريف تبعا للصلاة فى المسجد. والدليل قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال (اى انشاء السفر) الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى » . والصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعدل الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام .

أما الأحاديث المروية فى زيارة القبر كقولهم « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » فهذا حديث موضوع لان من جفا رسول الله فقد كفر .

وحديث « من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ، ومن زارنى حيا وجبت له شفاعتى » غير صحيح لان شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لمن عمل بدينه واستمسك بسنته ولم يكن من اهل الابتداع فى الدين .

وحديث « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » حديث مكذوب .

الزيارة الشرعية :

يسن للزائر أن يصلى بالمسجد ركعتين تحية المسجد . والأفضل أن يؤديهما فى الروضة الشريفة التى بين المنبر وبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد قال صلوات الله وسلامه عليه « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » رواه البخارى . ولكن عباد القبور من الصوفية يشوهون الحديث ، ويجرون معناه حسب أهوائهم فيقولون « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » والكذب واضح فى تحريف الحديث ، لأن النبى حينما قال الحديث فى حياته لم يكن له قبر .

وعندما يزور الزائر قبر النبى صلى الله عليه وسلم يقول : السلام عليك يا رسول الله . ثم يسلم على صاحبيه أبى بكر وعمر ، ثم يستقبل القبلة ويدعو الله بما شاء بعيدا عن القبر الشريف .

وليس بلازم أن يقف الزائر أمام القبر للسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم . فلو فرغ من صلاة ركعتى تحية المسجد ثم سلم على النبى من مكانه أو صلى عليه حصلت السنة لقوله صلى الله عليه وسلم « صلوا على حيثما كنتم فأن صلاتكم تبلغنى » .

ويسن لزائر المدينة أن يزور مسجد قباء ويصلى فيه لقوله صلى الله عليه وسلم « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة » رواه النسائى وأحمد .

كما يسن زيارة البقيع وقبر حمزة بأحد ، ففى زيارتهم تذكير بالآخرة .

وفقنا الله واياكم للعمل بسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورزقنا اتباعه لنحظى بشفاعته يوم القيامة . والله ولى التوفيق .

محمد على عبد الرحيم

جرأة غريبة على دين الله

بعض الصحفيين المشهورين وكبار الكتاب فى صحفنا اليومية لديهم جرأة غريبة على دين الله اذ يعطون أنفسهم حق التحليل والتحريم والافتاء بغير علم • من ذلك ما كتبه أنيس منصور فى بابه اليومى « مواقف » الذى يكتبه فى جريدة الأهرام حيث تحدث عن المساجد التى بها أضرحة ، وصناديق النذور الملحقة بها وكيف أنه رأى صديقا له يلقى فى صندوق نذور السيدة زينب ببعض المظاريف وفاء لنذور بعض أقاربه حيث نذروا ان نجح فلان دفعوا للسيدة زينب كذا ، وان شفى فلان وضعوا فى صندوقها كذا •••

ثم يقول الكاتب « وبعض المتشددين يرون ذلك حراما لأنه لم يرد فى حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا جاء فى القرآن شىء من ذلك •• ولكنى أرى ذلك حلالا ، فهم أناس طيبون يستريحون نفسيا اذا فعلوا ذلك •• فليفعلوا » •

وبصرف النظر عن قضية الأضرحة وتحريم بنائها فى أماكن العبادة فهذه مسألة كبرى ليس هذا مجالها فاننا نقول ان أهل الجاهلية قد جعلوا نذورهم لآلهتهم حتى تشفع لهم عند الله وتقربهم اليه زلفى • يقول تعالى « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » •

واذا كان أنيس منصور برى النذر لغير الله حلالا لأن الذين

ينذرون أناس طيبون يستريحون نفسيا اذا فعلوا ذلك .. فاننا نسأله: ومتى كانت الراحة النفسية أساسا للتشريع ؟ هناك أناس ترتاح نفوسهم اذا احتسوا كئوس الخمر وهناك من يجدون راحتهم النفسية فى صالات الرقص . فما رأيك فى هذا .. ؟ لعلك تحل ذلك أيضا .. !

أما عن النذر فيكفى أن أنقل اليك ما قاله الشيخ محمود شلتوت رحمه الله حيث يقول « النذر لا يكون لغير الله ولا يكون بمعصية . فالنذر فى الاسلام لغير الله باطل وحرام ، لا يجب الوفاء به ، ولا يثاب الناذر عليه ، ان لم يؤاخذ به . ولا يشفع فى صحته وحله ما يقوله بعض « المفتين » انه لله فى النية والقلب ، والأعمال بالنيات ، لأن صيغته وظروف فعله ، وشواهد حال الناذرين ناطقة بأن لغير الله فيه نصيبا ، أقله أن يقوم « الولى » بدور الوساطة فى المحبوب والمرغوب بين الله والناذر ، وهذا وان لم يكن شركا بالنية والقلب فهو شرك فى القول والفعل ، ومن شأن العبادة المقبولة أن تكون لله فى النية والقول والفعل جميعا « اياك نعبد واياك نستعين » .

ويقول أيضا فى سياق حديثه عن النذور « وكثيرا ما يجرى الناس على عادات موروثة تأخذ صفة الذيوع والاشتهار ، ويفعلونها على أنها مشروعة ، وهى ليست بمشروعة ، ولا لهـا فى التقرب الى الله حساب ، واذن فلا بد من التمحيص ، ولا بد من ارشاد الناس وهدايتهم الى المشروع وتخليصه من غير المشروع .

وعلى أهل العلم بأحكام الله ــ بمقتضى وضعهم ورسالتهم ، وبمقتضى العهد الذى أخذ عليهم ــ أن يبينوا أحكام الله على وجهها ، دون تأثر بموروث فاسد ، وان طال أمده ، ودون محاولة لتصحيحه والباسه ثوب المشروع مجاملة للناس ومجاراة للأهواء » .

ارفعوا أيديكم عن صحابة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

بقلم : د . الوصيف على حمزة

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللمسلم الواثق بربه العارف بأهداف الاسلام الكلية وخصائصه العامة نظرة يقتبسها من القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن هذا المنطلق نقول لقد ذكر أصحاب رسول الله فى القرآن فى مواضع شتى . قال تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » سورة الفتح .

هكذا كانت صفاتهم أنهم اشداء على الكفار من أعداء الاسلام متراحمون فيما بينهم بعكس الكثير من اهل هذا الزمان ينظرون الى اعداء الاسلام نظرة تقدير واحترام فى حين يكون سوطه حادا على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلماء الاسلام العاملين به ولا حول ولا قوة الا بالله ..

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوم يمرقون على حين فرقة من المسلمين بأنهم «يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل الاسلام » ولقد ثبت تاريخا أن أحد الصحابة لقيه بعض الخوارج فسألوه : انت من أصحاب على أم من أهل الكتاب؟ فقال انه من أهل الكتاب فتركوه ولو قال غير ذلك لقتلوه .

وقال تعالى « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

لقد كان الرجل فى صدر الاسلام يقاس بسبقه فى الاسلام وبذله فى سبيل الله وحفظه لكتاب الله . فهؤلاء بدريون وهؤلاء من السابقين فى الهجرة وهؤلاء من مسلمة الفتح ... الخ .

أما الآن فيقاس الكثيرون بقدر أموالهم وتنكرهم لتراثهم وأمتهم حتى يقال انهم تدميون عصريون لا متخلفون رجعيون وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال تعالى « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم » هذه الآية تشير الى غزوة بدر الكبرى حيث واجهت قافلة الايمان جحافل الكفر فكان هذا الثناء على الصحابة

رضى الله عنهم الذين بذلوا كل شيء في سبيل رفعة الاسلام .

واستطيع ان اقول ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضحوا وتخاذلنا ، وبذلوا وضننا ، واخلصوا ونافقنا ، فتحوا بلدان العالم بالاسلام وتركناها فريسة لأعداء الله ببعدنا عن الاسلام وتنكرنا لمبادئه .. لقد حملوا الاسلام الى ربوع الأرض فساهمنا نحن في تقليص رقعته ، وحملوا الناس على الايمان وحملناهم على نقضه .

ان أشد الناس تمسكا بدينه لو قيس بصحابي لطاش الميزان فكيف يقاس التراب بالتبر،والثرى بالثريا ؟ فلا عجب أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصحابي أصحابي لا تسبوهم . فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحد (بضم الهمزة والحاء) ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

ولذلك اتفق علماء الحديث على أن الصحابة كلهم عدول ثقات . والصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ولو مدة قصيرة . فلا عبرة بما دس عليهم من مفتريات في كتب لو قيس أصحابها بميزان علماء الأسانيد والجرح والتعديل لعرف الثقة من غيره .

ما هو السر في اختيار فترة الخلاف بين بعض الصحابة بعد مقتل عثمان لابرازه والتركيز عليه من حين لآخر باسم الفتنة الكبرى أو بأسماء أخرى ؟ ان كان نفعا للاسلام وتذكيرا للناس بتاريخه فأمام الصادق مع نفسه بنيان الصحابة الشاهد في العدل ونشر الفضيلة والحق بين الأمم .. والا فالفتنة نائمة ملعون من أيقظها .

وان كانت دراسة محايدة فلماذا لا ينتقى من الكتب والأسانيد الصحيحة ما تطمئن اليه النفس وينتفع به المسلمون ؟ ان الناس في الأمم الأخرى يسلطون الأضواء على كل ما هو مفيد في حياة زعمائهم وقادتهم أما نحن فليس أمامنا الا الفتن .

اننى أحيل القارىء الكريم الى كتاب لعالم من علماء الاسلام الصادقين مع أنفسهم هو « العواصم من القواصم » لأبي بكر بن العربي ليسترشد به في هذه المرحلة من تاريخ المسلمين وليعرف القارىء أقدار الرجال في تحرير العلوم وتأليف الكتب .

أما أن تصير العلاقة بيننا وبين الصحابة الى المتاجرة بما حدث بين بعضهم فان هذا لا يرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون .

وخلاصة القول ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جيل القدوة الذي يندر تكراره تاريخا وهو المثل الأعلى للأجيال القادمة .

« والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » هذا هو موقف المسلم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

د . الوصيف على هزة

الحلف بصحيح البخارى !

على صفحات جريدة الأهرام الصادرة يوم ٢٥ رمضان ١٤٠٤ الموافق ٢٥ يونيه ١٩٨٤ فتوى لفضيلة الشيخ أحمد حسن مسلم عضو لجنة الفتوى بالأزهر أورد فيها حديث « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » الا أنه رغم ذلك يقول فى فتواه ما نصه « أما من أمسك بكتاب البخارى ــ وهو من كتب السنة الذى جمع الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وفيها صفات الله سبحانه وتعالى أو لفظ الجلالة ومن هــذه الناحية فالحلف به يشبه القسم بالله تعالى ويجب على الحالف أن يبر بقسمه وان حنث فعليه الكفارة المذكورة » .

ونريد أن نتوجه الى فضيلته بسؤال : كل كتب السنة وردت فيها صفات الله تعالى كما ورد فيها لفظ الجلالة .. فلماذا تخصون صحيح البخارى بالذات ؟ هل نفهم من هذا أنكم تجاملون بعض العامة الذين تعودوا أن يحلفوا بالبخارى دون غيره ؟

وقياسا على فتواكم هــذه .. هل يجوز الحلف بأية أوراق ورد فيها لفظ الجلالة أو صفات الله تعالى ؟ وأضرب لذلك مثلا : لو جاءنى خطاب من أحد الأصدقاء وقد بدأه بالبسملة .. أفلا يحق لى أن أحلف بهذا الخطاب طبقا لفتواكم ؟ !

يا فضيلة الشيخ :

اتق الله وتذكر ما أوردته بفتواكم من حديث « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » ولا داعى لمثل هــذه التأويلات التى توقع الناس فى احدى صور الشرك لمــا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

بأقلام القـــراء

الزواج بالبغايا من أعظم الأعمال الصالحة ! .

بقلم : محمد الجندى

هذا هو ما دعا اليه الأديب الشهير « مصطفى لطفى المنفلوطى » وهو ما تقرره كلية دار العلوم على طلابها وطالباتها • فمن مقررات الفرقة الرابعـــة بالكلية كتاب : « مصطفى لطفى المنفلوطى ، حياته وأدبه » للدكتور محمد أبو الأنوار •

ففى الجزء الأول من هـــذا الكتاب تحدث الدكتور عن موقف المنفلوطى من المرأة بعامة • ولست هنا بصدد توضيح رأيه بالتفصيل وانما أوضح موقفه من المرأة البغى حيث دعا الى الزواج من البغايا وجعل ذلك من أرفع درجات الاحسان !!

يقـــول المنفلوطى :

« ليت الرجال يتفقون على أن يستنقذوا بهذه الوسيلة الشريفة (يعنى الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها أو فقد عائلها الـــى البغاء بل ليتهم يتفقون على الزواج منهن قبل أن تضيق بهن حلقات العيش فيسقطن » •

ويقول عن هذا الزواج (أى بالبغى) :

« ولا أحسب أن بين أعماله الصالحة عملا هو أفضل عند الله ذخرا وأعظم أجرا من هذا العمل الصالح » !

والسؤال الآن : من أين أتى المنفلوطى بهذا الفكر ؟

ويجيب على ذلك الدكتور أبو الأنوار قائلا :

« فالمنفلوطى تأثـــر بالرومانسيين فى أصل هـــذه الفكرة طبقا

لاعترافه .. » ومع ذلك فان الدكتور يرى أن المنفلوطى لم يتعارض هنا مع روح الدين الاسلامى حيث يقول : « وأهم ما نلفت النظر اليه هنا هو أن المنفلوطى فى تأثره بالرومانسيين لم يتعارض مع روح الدين الاسلامى وجوهره فى معالجة هذه القضية » ولا ينسى الدكتور فى نهاية حديثه هنا أن يصف المنفلوطى فى دعوته هـذه بأنه مخلص لدينه وأن الذى يرفض دعوته متزمت .

* * *

وخلاصة الكلام هنا تتمثل فى :

١ ــ الدعوة الى الزواج من البغايا وأن ذلك من أرفع درجات الاحسان .

٢ ــ أن الزواج من البغايا هو الحل الأساسى للبغاء فى نظـر المنفلوطى .

* * *

فهل الاسلام ــ حقا ــ يقر الزواج من البغايا ؟

وما هو علاج هذه المشكلة فى الاسلام ؟

وللاجابة على السؤال الأول أقول :

١ ــ يقول الله تعالى : « الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » ٣ سورة النور . يقول الامام ابن كثير : « حرم تعاطى الزنى والتزويج بالبغايا .. »

٢ ــ قد ورد فى سبب نزول هذه الآية أحاديث منها أن رجـلا يقال له مرثد أراد أن يتزوج امرأة بغيا يقال لها عناق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا مرثد الزانى لا ينكح الا زانيـة أو مشركة فلا تنكحها » رواه الترمذى وأبو داود والنسائى .

٣ ــ يقول المودودى فى تفسير هذه الآية :

« ان مقصود الآية أن الفجار الذين فجورهم ظاهر وخلاعتهم متعالنة فى المجتمع ليس الميل اليهم والاتصال بهم بصلة النكاح الا ذنب يجب أن يجتنبه أهل الايمان لأن ذلك مما يشجع الفجار اذ أن الشريعة تريد أن تجعلهم فى المجتمع عنصرا قبيحا يعافه الناس » .

٤ ــ أن هذا الحكم (تحريم الزواج بالبغايا) انما ينطبق على أولئك الزناة ــ من الرجال والنساء ــ الذين لا يرتدعون عن عاداتهم ولا يتوبون عنها . وأما الذين يتوبون عنها ويصلحون أنفسهم فلا ينطبق عليهم هذا الحكم .

٥ ــ ومع ذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالزواج من المرأة المتدينة الصالحة حيث يقول :

« .. فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

* * *

أما علاج مشكلة البغاء فى الاسلام فتتمثل فى جانبين :

أولا : اتخاذ اجراءات وقائية لمنع وقوع هذه الجريمة ومنها :

١ ــ أمر النساء بأن يلزمن البيوت « وقرن فى بيوتكن » الأحزاب ٣٣

٢ ــ نهى النساء عن ابداء الزينة لغير المحارم وهذه الزينة تنقسم الى :

أ ــ زينة مرئية : قال تعالى : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » الأحزاب ٥٩

ب ـ زينة مسموعة : قال تعالى : « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض .. » الأحزاب ٣٢

وقال : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مـا يخفين من زينتهن » النـور ٣١

جـ ـ زينة مشمومة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية » رواه النسائى والترمذى والحاكم .

٣ ـ أمـر الرجال والنساء بالغض من أبصارهم قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... وقـل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » النور ٣٠ ـ ٣١

٤ ـ تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء . فان الكتاب والسنة دلا على تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية اليه .

٥ ـ تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم فان ثالثهما الشيطان » رواه أحمد .

٦ ـ تحريم مصافحة المرأة الأجنبية ، ففى الحديث الصحيح : « لأن يطعن فى رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له » .

٧ ـ منع جميع وسائل انتشار الفاحشة : قال تعالى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » النور ١٩

يقـول المودودى :

« .. ان ألفاظ القـرآن شاملة لجميع صور اشاعة الفاحشة والانحلال الخلقى فهى تنطبق كذلك على انشاء دور للفاحشة والبغاء وما يرغب الناس فيها ويثير غرائزهم الدنيئة من القصص والروايات

والأشعار والغناء والصور والألعاب والمسارح والسينما كما هى تنطبق كذلك على المجالس والنوادى والفنادق التى يعقد فيها الرقص والطرب يشترك فيها الرجال والنساء على صورة خليعة مختلطة »

هـذه هى بعض الاجراءات التى اتخذها الاسلام لمنع وقوع الزنى •

* * *

ثانيا : فاذا وقع الزنى بعد ذلك ــ وهذا نادر اذا اتخذت هـذه الاجراءات ــ فان الاسلام قد شرع الحل الآتى :

١ ــ اذا كان الـذى فعل الزنى محصنا فان عليه الرجم حتى يمـوت •

٢ ــ واذا كان بكرا فعليه جلد مائة • قال الله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » النور ٢

يقـول المودودى :

« فذلك ما يعلمنا أن أغراض الحدود فى القانون الاسلامى ثلاثة :

أولهما : أن ينتقم من الجانى لاعتدائه ويذوق وبال السيئة التى قد ألحقها بغيره من أفراد المجتمع والمجتمع نفسه •

وثانيها : أن يردع عن اعادة الجريمة •

وثالثها : أن تجعل من عقوبته عبرة حتى تجرى مجرى عملية الجراحة الذهنية علـى أناس فى المجتمع قد تكون فى قلوبهم غرائز سيئة فلا يجترئون على ارتكاب مثل هذه الجريمة فى المستقبل •

هذا هو موقف الاسلام ــ فيما أعلم ــ من البغاء وعلاجه لهذه المشكلة وهو لا يتفق مع ما ذهب اليه المنفلوطى •

والله هو الهادى الى سواء السبيل •

محمد الجندى

كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة